حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٨)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)

جامعة عين شمس

كلية الآداب

نظرة في كتاب نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء لأبي المحاسن اليغموري تحقيق: رودلف زلهايم

أحلام عامر الزّبن *

أستاذ مساعد الدراسات اللغوي/ كلية العلوم والآدب بطريف/ جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية

المستخلص:

بدأ المستشرقون البحث عمّا يحويه تراث الشّرق من كنوز جهل أهلوها غناها، فنقبوا في تراثنا المخطوط، وورّعت جهودهم في أماكن شتّى من أنحاء العالم، وتداعوا إلى جمع هذا التراث وفهرسته وتحقيقه ونشره، وكان من الممكن أن يظل حبيس الخزائن، وفي الوقت نفسه لا نملك وسائل نشره.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي يهدف إلى الوقوف على أحد كتب التراث في التراجم (نور القبس المختصر من المقتبس) الذي اعتنى المستشرق الألماني رودلف زلهايم على تحقيقه ونشره، فجاء هذا البحث ليلقي الضوء في نظرة شاملة حول هذا الكتاب لدراسة منهجية المحقق مع عرض لفصول الكتاب ومحتوياته، ولتعميق مغزى الدراسة عملنا على انتقاء نماذج من أعلام الكتاب وفقاً لتقسيم أعلامه اتباعاً للتقسيم الجغرافي، فانتقينا من كل بقعة جغرافية علماً، وعملنا على مقارنة ما جاء في ترجمته بما ورد في ترجمة (وفيات العيان) لابن خلكان، وذلك لانتساب الكتابين لحقبة زمنية واحدة، مع التعليق على منهجية الكاتب وتقسيمه للكتاب وفهارسه.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة:

الاستشراق مصطلح يخبّئ رهبة غامضة ساحرة في عقول من عشقوا الإبداع الشرقي وأسراره... وأيقن هؤلاء أن العالم الشرقي قادر على أن يقدم من ضروب العجب والمتعة ما عجز عن تقديمه التطور الأوروبي، فجذب العلماء ورواده إليه رغم بساطته.

لذا بدؤوا بالتنقيب عما يحويه تراث الشرق من كنوز جهل أهلوها غناها، فنقبوا في تراثنا المخطوط، ووزعت جهودهم في أماكن شتى من أنحاء العالم، وتداعوا إلى جمعه وفهرسته وتحقيقه ونشره، وكان من الممكن أن يظل حبيس الخزائن، وفي الوقت نفسه لا نملك وسائل نشره.

واليوم، نحيا مع أحد المستشرقين الذي اختار كتابه في التراجم، ليتعرف ويعرف أكثر عن عقول العرب في طريقة التأليف أولا، وعقليات آبائهم من علماء وأدباء ونحاة وشعراء ثانيا، فيكون منهجه الذي اجتباه في درب الشرق حافلا بعقول عربية كان أولى لأبنائها من ضرورة التعرف عليها والتعلم مما ورّثوه، لكننا نصل إليها أولا وأخيرا مما قدمه لنا رودلف زلهايم في تحقيق كتاب "نور القبس المختصر من المقتبس"، ولنا في هذا أن نرفع رؤوسنا فخرا بأمات الكتب الموروثة لنا من جهة، والفخر كل الفخر بعظماء من ترجمت لهم كتب التراجم من جهة أخرى، ولنا أن نطأطئ رؤوس هاماتنا المتوانية عن إهمال تحقيق مخطوطات سبقنا المستشرقون لعرضها وتحقيقها.

وعلى كل حال فجهود المستشرقين لا تخفى على أحد، وكان لها دور بارز في فض الغبار عن ذخائر معرفية تراثية علمية أهملناها لا متعمدين بل لضيق اليد وبطء حركة النشر والطباعة لدينا، والأسباب كثيرة، وما هذا موضع أمثل للتبرير أو الذكر أو الحصر، فمهما يكن فلنا شرف المحاولة في دراسة تلك الجهود الاستشراقية في أحد مراجعها، لتسليط الضوء على أحد منتجاتها لعلنا نصل إلى منهجية تكون دربا قادما لمن أراد السير في هذا المضمار الشائك الشائق، ونقدم بصيصًا من نور إرادة أيقنت أن في تراثنا عبقا يستحق النثر وعلمًا حاز شرف النشر، ولعلنا نقف على جزئية مما أنتجته تلك العقول، عقول من ألف ومن حقق، ونكون قد أصبنا هدفين... وعلنا فعلنا...

أما جهودنا التي كانت جزءا يسيرا حاولنا تقديمه للامتنان لهذه العلوم الموروثة الذاخرة من إلقاء الضوء في نظرة شاملة حول هذا الكتاب، فوقفنا عليه، وبحثنا حول مؤلف الكتاب الأصل (المقتبس) وعرفنا بصاحبه المرزباني، ثم انتقلنا لمختصر الكتاب وهو الكتاب الذي بين يدينا وعرجنا بصاحبه اليغموري، وتوقفنا عند المحقق الذي كان من أهم أهداف دراستنا، فكانت المفاجأة من نكرانه في كتب تراجم المستشرقين. بعدها انتقلنا للكتاب مصدر الدراسة، مبتدئين بعنوانه، متوقفين بين ثنايا مادته عارضين للمنهجية المتبعة من قبل محققه زلهايم، ثم تنقلنا في عرض فصول الكتاب ومحتوياته من أعلام، ولتعميق مفهوم الدراسة عملنا على انتقاء نماذج من الأعلام المذكورة متبعين التقسيم الجغرافي للكتاب، وانتقينا من كل بقعة جغرافية علما عالما قارنا ما جاء حوله من ترجمة بترجمته في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، ويعود سبب اختيارنا لوفيات الأعيان تحديدا لانتساب الكتابين لحقبة زمنية واحدة.

كما عملنا على عرض لأبي الأسود الدؤلي كنموذج لعرض جزئية من متن مادة الكتاب، والتعليق عليها، وانتقلنا لدراسة الفهارس المذيلة للكتاب، وبينا مدى دقة المحقق، مع شيء من النقد والتعليق - إن حق لنا هذا-.

نقدم هذا الجهد المتواضع ليكون خطوة أولى، وسلمة نعتليه في درب الاقتداء بتلك الثلة الرائعة من علماء حفظوا لنا تراثا قصرنا في الاغتراف من معينه، ولا ندعي شيئا

يسيراً من الكمال فهو من رب الكمال... سبحانه جل شأنه، فإن أصبنا فما توفيقنا إلا من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا التائقة للمزيد دوماً.

والله من وراء القصد

نور القبس المختصر من المقتبس:

هوية الكتاب:

العنوان: نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء.

المؤلف: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني.

المختصر: أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري.

تحقيق: رودلف زلهايم.

دار النشر: فرانتس شتاينز بفيسبادن

تاريخ النشر: ١٩٦٤م- ١٣٨٤ هـ

النشرات الإسلامية

أسسها: هلموت زيتر

يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية: ألبرت ديتريش

جزء ٢٣- قسم ١

صفحات الكتاب: ٤٧١ صفحة- القطع المتوسط

الكتاب مختصر عن كتاب (المقتبس)، لهذا سنقف على ترجمة مؤلف الكتاب الأصل (المقتبس) وهو المرزباني، كما نقف على ترجمة صاحب الاختصار (نور القبس المختصر من المقتبس) اليغموري. ونعرج على ترجمة المحقق رودلف زلهايم.

التعريف بالمرزباني:

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعد بن سعيد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمرزباني، خرساني الأصل، بغدادي المولد والوفاة.

اختلف في تاريخ مولده كما اختلف في تاريخ وفاته، فقد ذكر الخطيب البغدادي أنه ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة، أما ابن النديم فقد حدد ولادته سنة سبع وتسعين ومائتين من الهجرة، وفي وفاته نص في فهرسه أنه توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، والخطيب البغدادي يذكر أنه توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. وقد جنح إلى التشيع ميلاً إلى الاعتزال، وقد برزت أيدلوجيته من خلال تراجمه في معجم الشعراء[١].

كان من بيت كريم، وقد ذكر الخطيب البغدادي أن داره كان فيها خمسون لحاف لأهل العلم الذين يبيتون عنده، وأن أكثر أهل الأدب الذين روى عنهم سمع منهم في داره، وكان عضد الدولة الذي ملك العراق يقف على بابه حتى يخرج إليه فيسلم عليه ويسأله عن حاله[٢].

وكان للمرزباني عدد من المؤلفات التي رفعته وزادت من علو مكانته، من هذه المؤلفات: أخبار الشعراء والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، أخبار أبي تمام، أخبار أبي مسلم الخرساني صاحب الدعوة، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحًا، أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر، تلقيح العقول، كتاب الأزمنة، كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشتى مجالسهم، كتاب المغازي، كتاب الهدايا، كتاب نسخ العهود إلى القضاة، كتاب المراثي، كتاب العبادة، كتاب الفرج، المفصل في البيان والفصاحة، المزخرف في الإخوان والأصحاب، المقتبس في أخبار النحويين البصريين وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة[٣]، وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي واعتنى به[٤].

التعريف باليغموري (٦٧٣هـ ١٢٧٤م):

يوسف بن أحمد بن محمود أبو المحاسن اليغموري باحث دمشقي يعرف بالحافظ اليغموري، له كتاب نور القبس اختصره من شهاب القبس المختصر من كتاب المقتبس للمرزباني[٥]، وكتاب الاطلاع على منادمة الصناع كتبه في العشر الآخر من ربيع الأول سنة ٦٧٩هـ، وكنز الفوائد ومعادن الفرائد[٦].

التعريف بـــــــ...رودلف زلهايم:

رودلف زلهايم، مستشرق ألماني، والغريب في أمره أنا وقفنا على العديد من الكتب والمعاجم التي عرّفت بالمستشرقين ولم نجد ذكراً له!!! ومن هذه المراجع:

- المستشرقون: نجيب العقيقي
- موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي
- المستشرقون الألمان: صلاح الدين المنجد
- طبقات المستشرقين: عبد الحميد صالح حمدان
- الدراسات العربية في ألمانيا: ديترشت ألبرت
- أضواء على الاستشراق والمستشرقين: محمد أحمد دياب
- معجم المصطلحات اللغوية في كتابات المستشرقين الألمان: إسماعيل أحمد عمايرة

بين يدي الكتاب:

العنوان:

عنوان الكتاب هو: نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء

يقول المحقق للكتاب- رودلف زلهايم- لم يُعرف المقتبس إلا عن طريق كتابين انتخبا منه، هما: "المختصر" وهو الكتاب الذي بين يدينا، و"المختار". وقد وصل هذان الأثران بنسختين لا غير، وبين المختصر والمقتبس كتاب ثالث هو "المنتخب". ومن هذا الكتاب الأخير انتخب صاحب المختصر كتابه، لا عن الأصل. وقد وصل المختصر كاملاً باستثناء سقط واحد، أما المختار فلم يصل منه إلا الجزء الأول، وسنذكر الفرق بين المختصر والمختار بالتفصيل في موقعه من هذا البحث. ولبيان هذا التفصيل في أصل الكتاب، نورد هذا الرسم البياني:

المقتبس
- الكتاب الأصل- وهو مفقود
ألف في منتصف القرن ٤هـ/ ١٠م

المنتخب، ألف في مستهل القرن ٧هـ/ ١٣م، وهو مفقود

المختار	المختصر
ألف في النصف الأول من القرن ٧هـ/ ١٣م وهو موجود	ألف في النصف الأول من القرن٧هـ/ ١٣م وهو المنشور هنا

الدلالة المعجمية واللغوية للعنوان:

القبس لغة[٧]: النار، والقبس: الشعلة من النار، وفي التهذيب: القبس شعلة من نار تقتبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها. وقوله تعالى: "بشهاب قبس"، والقبس: الجذوة، وهي النار التي تأخذها من طرف عود، وفي حديث علي- رضي الله عنه-: "حتى أورى قبس لقابس" أي أظهر نوراً من الحق لطالبه.

والمقتَبس هو اسم مفعول من الفعل المزيد اقتبس، واسم المفعول صرفاً هو ما وقع عليه فعل الفاعل، أي فعل الاقتباس، وفي لسان العرب: قال الكسائي: واقتبست منه علماً، أي طلب علماً، وهذا يعني أن المقتَبس هو المطلوب.

فاليغموري يدل من خلال مختصره أنه شعلة نار وجذوة علم اقتبسها من كل لامع من لفيف من العلماء والأدباء والشعراء، وهذا يعكس الوقع المرجوّ من هذين اللفظين (القبس- والمقتبس) لفظاً ودلالة، خاصة أن مثل هذه المصطلحات قد حظيت بالتداول من قبل العلماء والمؤلفين وكانت شائعة الاستعمال، وقد وردت في عنوانات العديد من أمات الكتب العربية باختلاف موضوعاتها، مثل:

- غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ- لنعمان بن محمود الآلوسي (ت ١٣١٧هـ)
- المقتبس من كتاب الأنساب- لأبي بكر علي الصنهاجي (ت ٥٥٠هـ)
- جذوة القبس في ذكر ولاة الأندلس- لأبي عبد الله محمد الأزدي الحميدي (ت ٤٨٨هـ)
- المقتبس من تاريخ الأندلس- لأبي حيان القرطبي

نرى أن (القبس و المقتبس) بينهما جناس ناقص، ورجوعاً إلى الحقبة الزمنية التي أُلف فيها الكتاب واختصر، نجد أن استخدام الصيغ البلاغية من جناس وطباق وغيرها كانت منتشرة وعامة ومتداولة، وذلك يعود للصنعة اللغوية.

واستخدم الكاتب جموع التكسير في قوله (النحاة والأدباء والشعراء والعلماء) فقد قصد المعنى الحرفي لها، وذلك لأن مؤلفه يترجم لمائة وخمسة وعشرين عَلماً.

ويتضح أن الكتاب عبارة عن مختصر من كتاب أصل، والكتاب الأصل لم يصلنا، وبعد دراسة العنوانين خرجنا بما يأتي:

في الكتاب الأصل (المقتبس) كما جاء ذكره في كتاب معجم الشعراء للمرزباني- المؤلف نفسه- نرى منهجية الكاتب في التقسيم المتبع جلية واضحة منطلقاً بأبعادها الدقيقة من العنوان نفسه، ويظهر ذلك في التقسيم المتبع للمُترجم لهم كما ذكرت في العنوان، فقد اقتصر في ترجمته على أهل البصرة والكوفة تحديداً جغرافياً، بينما جاء عنوان (نور القبس)- المختصر- عاماً شاملاً يفتقر إلى التخصيص الجغرافي، ومع المقارنة بين معطيات الكتاب والمُترجم لهم نرى أنه ترجم لبعض الأعلام من البصرة والكوفة وبغداد تحديداً، وذكر هذا في فهرس الكتاب ومحتواه.

كما أن كتاب (المقتبس) كان دقيقاً في إيراد علوم المترجم لهم، فقد جاء في العنوان أنه ترجم لأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة، بهذا يكون عنوان الكتاب موافقاً لمحتواه، أما في (نور القبس) فقد جاء في عنوانه أنه ترجم لأخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، وفي هذا خلط وافتقار للدقة حيث أننا لم نجد ذكراً إلا لعدد قليل من الشعراء في الترجمات الواردة في الكتاب والتي تبلغ مائة وخمسة وعشرين ترجمة، كما أننا توقفنا عند لفظة (علماء) فهي مصطلح معمم يشوبه اللبس، ولم نجد تفسيراً دقيقاً لهذا المصطلح كما أراده المؤلف، فهل عنى علماء اللغة؟ وعلماء اللغة هم النحاة؟ وما الفرق بين علماء اللغة والنحاة ليوردهما بلفظين منفصلين في العنوان؟ أم أنه قصد علوماً أخرى؟ علماً أن المؤلف لم يُشر لذلك في مقدمة كتابه، فهل يقترن هذا المصطلح من علماء الأدب أو علماء الشعر أو النقد؟ أي علماء العربية بتنوّع فروعها- أدباً ونحواً ونقداً وشعراً؟ أم عنى بها العلماء بمفهومها اللفظي، أي أرباب العلوم النظريّة العينيّة التطبيقيّة؟

المختصر وروايته:

يحدثنا الحافظ اليغموري في فاتحة المختصر عن نسخته وعن المنتخب الذي اعتمد عليه وكذلك عن المقتبس الذي اعتمد عليه صاحب المنتخب. فيقول عن نفسه: "فهذا كتاب

علقته انتخاباً من كتاب الشهاب القبس من كتاب المقتبس تأليف الشيخ الحافظ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني رحمه الله في أخبار النحاة والقراء والرواة". ويقول عن الشهاب القبس من كتاب المقتبس: "انتخبه الشيخ الإمام نجم الدين بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي المجاور بمكة حرسها الله تعالى". وقال: "الباعث عليه أمران: أولهما استفادتي منه ساعة بعد ساعة، وثانيها إفادة أهليه بغرائبه والنوادر التي فيه فقد سمعت مشايخنا يقولون: لا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط المصنف وهو ثمانية عشر مجلداً في وقف الوزير نظام الملك في مدرسته بمدينة السلام حماها الله"، وقال: "وقد حذفت الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة". ثم ينصرف ثانية إلى التحدث عن نفسه ويقول: "وقد انتخبت أنا هذا المنتخب في هذا التعليق ولم أدخل ترجمة منه غير أني أذكر أحاسن ما ذكر وبالله التوفيق والعظمة في حسن الاختيار". وقد اختتم المختصر بالعبارة الآتية: "آخر المختصر المسمى بنور القبس المختبر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء". وقد سمينا نحن المصنفات الثلاث إيجازاً "المختصر" و "المنتخب" و "المقتبس".

لم يذكر الحافظ اليغموري متى شرع في تصنيف مختصره ومتى فرغ منه، إلا أننا نستطيع أن نقترب من معرفة ذلك إذا أمعنا النظر في فاتحة المختصر، ففيها لا يترحم الحافظ اليغموري على بشير بن حامد صاحب المنتخب كما فعل حين ذكر المرزباني. وهذا يدل على أن بشيراً المذكور كان ومازال آنذاك حياً. وإذا ما رجعنا إلى ترجمة بشير وجدناه قد قضى الشطر الأخير من حياته في مكة بعد أن درس ببغداد زمناً معلوماً، وهذا ما نص عليه السبكي في طبقات الشافعية ٢٥/٥ بقوله: "وانتقل بالآخرة إلى مكة فجاور بها إلى أن مات في ثالث صفر سنة ست وأربعين وستمائة"، والحافظ اليغموري يذكر أن بشيراً أيضاً "بالمجاور بمكة حرسها الله". وإذا ما تأملنا في الأخبار الواردة عن الحافظ اليغموري علمنا أنه قد نزل بمكة أيضاً. من ذلك ما يرويه السيوطي في البغية : "ومن تذكرة الجمال يوسف بن أحمد بن محمد بن محمود بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي المعروف باليغموري ست مجلدات ثلاثة بمكة وثلاثة بالقاهرة بخطة". فإذا وَصَلنا هذه الأخبار ببعضها تبين لنا أن احتمال التقاء الحافظ اليغموري ببشير بمكة سهل المنال قريب المأخذ، خاصة إذا ما علمنا أن الحافظ اليغموري حسب رواية السيوطي الآنفة فقد كتب هناك ثلاثة مجلدات بخطه، فبناء على هذا الاتفاق في أخبار الاثنين نرى تصنيف الحافظ اليغموري مختصره بمكة قبل وفاة بشير بن حامد ٦٤٦ هـ محتملاً جداً.

أجزاء المختصر:

يقع المختصر في أربعة أجزاء ليست متساوية الحجم، وهو في تقسيمه يماشي على ما نعتقد المنتخب. والأجزاء هي كما يأتي:

الجزء الأول: يشمل الأوراق ١ب-٤٧ آ: وتقع فيه فاتحة الكتاب ص٢، ص ٢-٦ ابتداء أمر النحو، ص٧ من أخبار العلماء من أهل البصرة: ص ٧-٨٧ التراجم ١-١٨.

الجزء الثاني: يشمل الأوراق ٤٧ آ- ٩٠ آ: ص ٨٧-١٧٠ التراجم ١٩-٣١.

الجزء الثالث: يشمل الأوراق ٩٠ب – ١٣٣ب: ص ١٧١-١٧٣ ابتداء أمر البصرة ونزولها، ص ١٧٤-٢٣١ التراجم ٣٢-٥٩، ص ٢٣٢-٢٥٥ التراجم ٦٠-٦٢.

الجزء الرابع: يشمل الأوراق ١٣٣ب- ١٧٩ب: ص ٢٥٦-٣٠٧ التراجم ٦٣-٨٩، ص ٣٠٨-٣٠٩ ابتداء أمر بغداد واختطاطها ونزولها، ص ٣١٠ من أخبار العلماء من أهل بغداد: ص ٣١٠-٣٤٦ التراجم ٩٠-١٢١، ص ٣٤٧ ذكر النسابين: ص ٣٤٧-٣٥١ التراجم ١٢٢-١٢٥.

والجزء الثاني هو أصغر الأجزاء، أما أكبرها فهو الجزء الأول، وقد كان الأكبر هو الجزء الثالث الذي أصبح الآن بحجم الثاني بعد سقوط ثماني أوراق، وقد أقحم في أول الجزء الثالث كذلك الأخبار المتعلقة بابتداء أمر البصرة ونزولها.

المختار لعلي بن حسن:

مخطوطة المختار الوحيدة المعروفة لدينا هي المحفوظة في مكتبة شهيد علي باشا في إسطنبول تحت الرقم ٢٥١٥. وقد أخرجها علي بن حسن معاوية وسماها "مختار من كتاب المقتبس في أخبار النحويين". (انظر الورقتين ١آ و ٢١٩آ). وأظن المخطوطة هذه هي نسخته التي بخطه، وليس فيها إلا الجزء الأول، وقد صنفت حسب اعتقاد المحقق في القرن السابع.

والمخطوطة ٢٦٨ ورقة في كل ورقة ١٣ سطراً، وخطها نسخي كبير، بعض الشيء. ليس بمطرد الإعجام ويفتقر إلى الشكل كلما توغلنا فيها، وقد كتبت العنوانات بخط أكبر من سواه وأعرض، والأوصاف العامة للخط تدل على ما تعارف عليه الكتاب في القرن السابع، وهو إلى هذا يشابه خط ابن خلكان، ويتفق الاثنان في وضع نقطتين تحت الألف المقصورة أحياناً مثل "إلي"، ويشهد هذا الخط أن صاحبه على حظ طيب من العلم، ولم يُفلح في العثور على اسم الناسخ هذا وهو علي بن حسن في ما وجد من كتب التراجم.

وكان قد ذكر اسمه كاملاً في الورقة الأولى، ولكنه لم يتبق من اسم جده إلا الحروف "معالي" فـ يكون الاسم كاملاً علي بن حسن بن معالي، فمن هو على هذا؟ أيمكن أن يكون ابناً للحسن بن معالي بن مسعود الباقلاني الحلي البغدادي؟ ليس هناك نص يثبت أنه كان للحسن ابن، ولكنه لو كان له ابن لعاش في فترة تناسب التأريخ الذي صنف فيه المختصر والمختار، ومما قد يعضد هذا الافتراض أن الحسن قد ولد سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وقدم بغداد صبياً وتوفي فيها سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م (الجواهر المضيئة ٢٠٥/١، بغية الوعاة ٢٣٠) ويذكر ياقوت في الإرشاد ٣/٤ أن اسم أبيه هو "أبو المعالي" ويستطرد قائلاً: "لقبته ببغداد سنة ٦٠٣ وكان آخر العهد به"، ولكن يعترف الكاتب مع هذا أن الشك يكتنف الموضوع من جوانبه. ومن يدري فقد يفلح أحد القراء في الاهتداء إلى على بن حسن بن ..... هذا بعد أن اتضح طريق البحث عنه.

تشتمل المخطوطة كتابين يقع الأول منهما في الأوراق ١آ-٢١٩آ وهي التي تتضمن الجزء الأول من المختار، ولا وجود للجزء الثاني الذي أشير إليه في آخر الجزء الأول فيما نصه: "يتلوه في الجزء الثاني أخبار أبي عبد الرحمن عبيد الله بن محمد بن عائشة التميمي، قال ابن شبة: ابن عائشة هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التميمي القرشي". ويقع الثاني منهما في الأوراق ٢٢٠آ- ٢٦٨ب وهو كتيب يتضمن حوالي ١٠٠ ترجمة. جُلُها يتعرض لعلماء النحو واللغة مع ذكر أبيات مما نظموه، وفي هذا الكتيب أخبار أخرى كتأريخ ولادة البحتري ووفاته (٢٢١ ب)، وتأريخ وفاة ابن سينا (ن٢٣٥ ب ن). ولم يرد اسم مصنف هذا الكتيب ذي الفائدة القليلة في أي موضع من المخطوطة، وليس بالبعيد أن يكون مصنفه صاحب المختار نفسه علي بن حسن. ويبدأ النص بلا مقدمة بترجمة السكري (٢٢٠آ)، وينتهي في منتصف ترجمة أحمد بن فارس (٢٦٨). ويروي المصنف أحياناً عن المرزباني وآخرين مثل السيرافي وأبي بكر الزبيدي والتاريخي (٢٧٠هـ/٨٨٣م، انظر تأريخ بغداد ٣٤٨/٢ والأنساب ١٠٢آ والصفدي ٥٤/٤ وبروكلمن الملحق ١٥٧/١)، وكذلك عن المدائني وغيره. وقد نقل المصنف أيضاً عن مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي (٢٢٥آ و ٢٤٥ب)، وعن شرح التصحيف لأبي أحمد العسكري (٣٨٢هـ/٩٩٣م) (٢٢٥آ). وإن آخر تأريخ يتضمنه هذا الكتيب هو سنة وفاة

أبي البركات الأنباري ٥٥٧هـ/١١٨١م، وقد ترجم المصنف باختصار لعلماء آخرين عاشوا في ذلك القرن كالميداني والزمخشري (٢٤٨ آ- ب).

وبمقتضى المعلومات السابقة التي وردت عن هذه المخطوطة يمكننا تصحيح ما أبداه عنها الأستاذ O.Rescher في مجلة الجامعة اليسوعية ببيروت ٥٢١/١٩١٢/٥، وكذلك تصحيح ما ذكره بروكلمن عنها في ملحقه ١٥٧/١ متبعاً في ذلك الأستاذ ريشر. ولم يكن الأستاذ ريشر يعلم في حينه إلا بوجود الكتيب المذكور أعلاه، ولم يدر المحقق بوجود المختار إلا عن طريق كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة، وقد نشره الدكتور فؤاد سزيكين في القاهرة في ١٣٧٤-١٣٨١هـ/١٩٥٥-١٩٦٢م.

ولم يخبر علي بن حسن صاحب المختار بأي شيء عن الأصل وكيف انتقى أخباره منه، أما المخطوطة فليس لها مقدمة وإنما تبدأ بعد البسملة بترجمة أبي حاتم السجستاني. وإن علي بن حسن هذا قد نقل عن المقتبس بخلاف الحافظ اليغموري، والدليل على ذلك أن علي بن حسن يورد الكثير من الأسانيد والطرق التي رواها المرزباني، وأغفل ذكرها صاحب المنتخب واتبعه في ذلك الحافظ اليغموري في مختصره.

موازنة بين المقتبس وبين المختصر والمختار:

عند النظر في ترتيب مفردات تراجم المختصر وترتيب مفردات تراجم المقتبس التي نقلها الفهرست ص ١٣٣، ٢٦-٢٧ والإرشاد ٥٢/٧، نستدل على أن المختصر لم يشذ إلا مرة واحدة عن ترتيب تراجم الأصل. أما المختار فقد أخر وقدم في ترتيب بعض تراجم الأصل، وغير محتوى البعض الآخر وأضاف أشياء من كتب التراجم الأخرى، كنقله الأخبار الواردة في الأوراق ٩٤ب-٩٥ب من طبقات الزبيدي (القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م). وتفضيل اختلاف المختار في ترتيب تراجمه عن المختصر هو كالآتي: يبتدئ المختار بالتراجم ٥٦-٥٨، وتليها ترجمة سلامة بن جندل السعدي، ثم التراجم ٨-٩، فترجمة حماد بن الزبرقان، وبعدها التراجم ١٢-١٦، ٣١، ٢٥-٣٠، ٢-٥، فترجمة أبي عبد الله ميمون الأقران، ثم التراجم ٦-٧، ٣٢-٣٨. ولا وجود هنا لمقدمة المرزباني عن ابتداء أمر النحو ولا أخباره عن ابتداء أمر البصرة والكوفة وبغداد ونزولها. ويورد المختار فيما عدا ذلك ذكر ثلاث تراجم لا وجود لها في المختصر وهذا يدل بشكل واضح على أن المختصر لم ينقل تراجم المقتبس كلها، ويدعم هذا الرأي جدول المختصر الذي نص على ذكر ستة من العلماء من أهل الكوفة لم يترجم لهم فيما بعد كما سلف القول، وتلك الأسماء هي: عبد الملك بن عمير اللخمي وعاصم بن أبي النجود وأبان بن تغلب- وقد ذكروا الترجمتين ٦١ و ٦٢، وأبو محنف لوط بن يحيى- وقد ذكروا بين الترجمتين ٧٣و ٧٤ ، وخالد بن كلثوم – و قد ذكر بين الترجمتين ٨٢ و ٨٣ ، و الحكم بن موسى السلومي – وقد ذكر بين الترجمتين ٨٩ و ٩٠.

ويحتوي المختصر على ١٢٥ ترجمة على حين لم يحو المختار إلا على ٣٣ ترجمة لم يرد ذكر ثلاث منها في المختصر، ولكن المختار في مقابل ذلك يفوق المختصر في عدد أوراقه، ولا يعني إطلاقاً أن المختار يقدم في تراجمه أخباراً أغزر من تلك التي يقدمها المختصر، بل أن العكس صحيح إذ لا يبدأ المختصر المختار في عدد تراجمه فحسب بل يعرض للقارئ فوق ذلك في تراجمه مادة لا تقل جودة عن تلك التي نجدها في المختار. وتحتوي مخطوطة المختصر على ١٧٩ ورقة لكل منها ١٩ سطراً فيكون مجموع السطور حوالي ٦٨٠٢، وتحتوي مخطوطة المختار مقابل ذلك على ٢١٩ ورقة لكل منها ١٣ سطراً فيكون مجموع السطور حوالي ٥٦٩٤. أما السبب الذي جعل عدد أوراق المختار يصل إلى ٢١٩ وليس فيه إلا ٣٣ ترجمة فيمكن إجماله فيما يأتي: لقد فعل صاحب المختار ما لم يفعله

صاحب المختصر، من ذلك أنه أورد ذكر الأسانيد والطرق التي شغلت حيزا كبيرا في الكتاب، وأكثر بالإضافة إلى ذلك من تكرار الروايات والأحاديث التي تختلف في معناها إلا القليل (أنظر مجلة oriencs ١٧٥/١٩٥٢/٥) وأورد شاهدا على ذلك: تحتوي ترجمة الأصمعي في المختار على ٣٥ ورقة لكل منها ١٣ سطرا فيكون المجموع حوالي ٩١٤٠ سطرا، على حين تحتوي الترجمة نفسها في المختصر على ٢٤ ورقة لكل منها ١٩ سطرا فيكون المجموع حوالي ٩١٣ سطرا، ويوحي هذا التقريب العددي لأول وهلة أن الترجمتين المذكورتين لما كانت متقاربتي الطول فإن الأخبار التي فيها متساوية، ولكن هذا ليس صحيحا لأن الجنوح إلى الأسانيد والطرق و التكرار قد قلل من إفادة المختار. ولا يتماثل المختصر و المختار إلا في ربع روايتهما، ويدل هذا البون الشاسع بين الاثنين على غناء أخبار الأصل، على أننا نلفت النظر إلى أن المختصر والمختار يوافقان الكثير من كتب التراجم الأخرى في تفصيل أخبارهما وجودتها، ويكفي شاهدا على ترجمة الأصمعي. والسبب على ما أعتقد هو أنه لم يكن بوسع الكثير من العلماء الوقوف على المقتبس لنقل فوائده لأنه لم يكن في بغداد في نهاية القرن السادس نسخة منه سوى الأصل، ومما زاد الأمر تعيدا أن مدينة السلام قد تعرضت بعد ذلك بقليل لكوارث الفيضان ولاحتلال المغول، ما ضاع من الكتب من جراء ذلك ما ضاع، ومنها المقتبس على ما أظن كما سيأتي على ذكر خبره تفصيلا.

وقد قام بالنقل عن المرزباني الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) في تاريخ بغداد، وياقوت (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) في الإرشاد، والقفطي (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨) في الانتباه، وقد أجرى المحقق في كتاب الملحق موازنة بين الأخبار التي نقلها والأخبار المشابة الواردة في المختصر والمختار، و قد بذل الطاقة في ملحقه في جمع روايات المرزباني وأخباره من كتب التراجم الأخرى، ولكن مثل هذا الجمع لا يمكن بحال أن يحيط بالمجلدات الثماني عشرة التي حواها الأصل لأن الكثير من أخبارها قد ضاع واندثر.

المنتخب:

ويبدو أن أول من خرق الحصار المضروب على المقتبس نجم الدين أبو النعمان بشير بن أبي بكر حامد ابن سليمان الجعفري التبريزي، إذ قد انتخب منه منتخبه "شهاب القبس من كتاب المقتبس" في مستهل القرن السابع، وقد "ولد بأربيل في سنة سبعين وخمسمائة وسمع من عبد المنعم بن كليب ويحيى الثقفي وابن سكينة وابن طبرزد وجماعة، روى عنه الجاحظ شرف الدين المؤمن بن خلف الدمياطي وغيره، وكان قد تفقه ببغداد على أبي قاسم بن فضلان ويحيى بن الربيع وبرع مذهبا وأصولا وخلافا وأفتى وناظر وأعاد بالنظامية وصنف تفسيرا في عدة مجلدات، وانتقل بالآخرة إلى مكة فجاور بها إلى أن مات في ثالث صفر سنة ست وأربعين وستمائة" (انظر كحالة ٣ / ٤٦ – ٤٧) وإلخ. والظاهر أنه قد وقف على المقتبس حين تدريسه بالنظامية وأدرك ما لذلك الكتاب الضخم من فضل كبير، وقد دفعه إلى الانتخاب منه إفادة أهله به بعد حذف "الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة" (انظر ص١٨) ليصبح في متناول يد أكبر عدد من الناس وقد انتخب منه الجاحظ اليغموري مختصره ن فحفظ بذلك لنا على الأقل قبسا من نور الأصل (انظر ص ٢٣).

تاريخ تصنيف المقتبس:

لقد أفرد المحقق في الملحق أيضا فضلا لدراسة المقتبس في إطار تلك الفقرة الأدبية مع الكلام عن نشأة كتب التراجم عامة وعن تراجم العلماء خاصة، ولكن المحقق عرض هنا بالذكر إلى أربعة من كتب تراجم النحويين ترجع إلى القرن الرابع لم يقف عليها المرزباني:

١- مراتب النحويين تصنيف أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) انظر ملحق بروكلمن ١ /١٩٠ ومعجم لعمر كحالة ٦ /٢١٠ و ١٣ /٤٠٣ والأعلام للزركلي ٤ /٣٢٥، وقد حقق الكتاب المذكور وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ن القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م ، ١٤٠ صفحة.

٢- أخبار النحويين البصريين تأليف أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيراني (٣٦٨ هـ / ٩٧٨م)، انظر بروكلمن، الطبعة الثانية ١ /١١٥ وكذلك الملحق ١٧٤/١ ومعجم المؤلفين ٢٤٢/٣ والأعلام ٢ /٢١٠ وقد اعتنى بنشر الكتاب المذكور وتهذيبه فريتس كرنكو F.Krenkow، بيروت وباريس ١٩٣٦ م، ١١٦ صفحة.

٣- تهذيب اللغة (المقدمة) للأزهري (٣٧٠ هـ /٩٨٠ م)، انظر بروكلمن، الطبعة الثانية ١٣٤/١ وكذلك الملحق ١٩٧/١ ومعجم المؤلفين ٢٣٠/٨ والأعلام ٦ / ٢٠٢، وقد حقق الكتاب المذكور K.V.Zettersteen ونشره في مجلة Le Monde Oriental ١٤/١٩٢٠/١-١٠٦.

٤- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م)، انظر بروكلمن، الطبعة الثانية ١/ ١٣٩ وكذلك الملحق ١/ ٢٠٣ ومعجم المؤلفين ٩/ ١٩٨ والأعلام ٦/ ٣١٢، وقد حقق الكتاب المذكور محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤م، ٤٠٨ صفحة.

لقد نشأت هذه الكتب والمقتبس في زمن متقارب، ولا دليل على اعتماد بعضها على بعض، ولم يفلح المحقق في تاريخ تصنيفها بالضبط باستثناء طبقات الزبيدي إذ قد وقع الفراغ منها بين ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م و٣٦٥ هـ/ ٩٧٦ م، وقد أثبت ذلك في نقده لها نشرته في مجلة Oriens ٨ /١٩٥٥ /٣٤٧. أما تصنيف المقتبس فيمكن حصره بين سنة ٣٣٦ وبين يوم السبت الأول من شعبان سنة ٣٧٧، فالتاريخ الأول هو آخر تاريخ جرى ذكره في المختصر. هنا ص ٣٤٦، والتاريخ الثاني هو الذي يذكره ابن النديم في الفهرست ص ٨٧ ، ١٦: "الكتب القديمة في أخبار النحويين: أخبار النحويين للنجيرمي، أخبار النحويين لأبي سعيد السيرافي، أخبار النحويين للمرزباني المقتبس الكبير، أخبار النحويين لأبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي، هذا آخر ما صنفه من مقالة النحويين واللغويين إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، ولربما ازداد اقترابا من تحديد تاريخ المقتبس لو كان في وسعه تحديد تاريخ المستنير للمرزباني، إذ إن المرزباني يشير في المقتبس (هنا ص ٣١٦ ، ١٩) إلى كلام ورد في المستنبير كتابه الكبير عن الشعراء العباسيين ٩ (انظر الفهرست ١٣٢ ، ٩ والأنباء ٣ / ١٨٢ ، ٧ إلخ). أما أخبار النحويين للنجيرمي والتاريخي فلم تصلنا.

ولم يعتمد أصحاب كتاب التراجم المتأخرين على المقتبس إلا قليلا، وقد ذكر سابقا أيضا أنه لم يقبل كثير من الناس على نسخ المقتبس وبين المحقق الأسباب التي حدتهم إلى ذلك، وهكذا خمل ذكره حتى أن حاجي خليفة لم يعلم في كشف الظنون بالمقتبس وما يسميه نور المقتبس إلا عن طريق الأقاويل، والأنكى من ذلك أنه خلط بين المقتبس (هذا الكتاب) وبين المقتبس في تاريخ علماء الأندلس لابن حيان (انظر بروكلمن، الطبعة الثانية ٤١٢/١).

إن هذه الأمور كلها تشير إلى ما يتحلى به المختصر من مكانة رفيعة في تاريخ الأدب العربي وتوضح الدوافع التي حدتنا إلى تحقيقه ونشره. ولرودلف زلهايم دراسة أولية باللغة الألمانية عن المختصر في مقالة له عن العلم والعلماء عند الخلفاء (براين ١٩٦١).

الشكل:

وقد عني المحقق بتزويد النص بالشكل وخاصة ما ورد فيه من أشعار، ودفعه إلى ذلك أمران: أولهما أن مخطوطتي المختصر كلتيهما كانتا مزودتين بالشكل في كثير من المواضع، وقد وجد في التخلي عن ذلك الشكل نقل صورة غير صادقة عن الأصل إلى القارئ الكريم. وثانيهما هو أنه رأى الصواب في اتباع ما كان يقوم به المحققون في الغرب وما يقوم به المحققون في المشرق اليوم من بذل العناية في تزويد النصوص وخاصة الشعرية منها بالشكل اللازم وكان المستشرق الألماني المعروف الأستاذ هلموت ريتر قد اشتكى قبل من خمس وثلاثين سنة في كتابه عن الشاعر الفارسي المشهور نظامي (برلين ١٩٢٧، ص ٢١ الملاحظة) من نشر الدواوين دون شكل، مع أن مصنفي العرب القدامى فطنوا قبل ألف سنة أو ما يزيد إلى ضرورة تزويد النصوص بالشكل اللازم. وحسبك بهم قدوة، واكتفى هنا بالتنويه من أولئك الرجال الذين درجوا على تحريك ما صنفوا وسعوا أولهم أو عبيد البكري (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م): وقد عرف به المستشرق F.wűsteneld في مقدمته لكتاب معجم ما استعجم (جونتجن ١٨٧٧). وثانيهم الجواليقي (٥٣٩ هـ / ١١٤٤م): وكان أعلم أصحاب التبريزي وخليفته في المدرسة النظامية، وقد كتب فيما كتب بخط يده المتقن، المخطوطة المحفوظة في مكتبة الإسكوريال تحت الرقم ١٧٠٥، ولما تنشر بكامل أجزائها، وثالثهم ياقوت الحموي (٦٢٩ هـ/ ١٢٢٩ م): وقد وصلت بخطه آثار مختلفة كنسخته من تمام فصيح الكلام لابن فارس، وقد فرغ من نسخها سنة ٦١٦، ونبه إليها بروكلمن في ملحقه ١ / ١٩٨، ١٥ وصورها المستشرق A.J. Arberry مع دراسة مقتضبة في سلسلة Chester Beatty Monographs 3 (لندن ١٩٥١)، وكنسخته من الباحث الكاملية لقاسم بن أحمد اللورقي (انظر ملحق بروكلمن ١ / ٥١٢)، وقد فرغ منها سنة ٦٢٠، وتحفظ الآن في المكتبة الألمانية Staatsbibliothek الكائنة في مدينة Marburg تحت الرقم Ms. Or. 3377 .

إن الطريقة التي شكلت المخطوطة بمقتضاها تماثل ما اعتاد عليه الكتاب من تشكيل النصوص في مصر في القرن ٧ هـ / ١٣ م، وعلى ذلك تدل أمور منها أنه قد تم الفراغ من نسختها في المدرسة الكاملية في القاهرة على يد أحمد بن علي، ومنها أن الذي اختصرها هو الحافظ اليغموري وقد عاش في مصر ردحاً من الدهر وتوفي فيها أيضاً، وأخيراً لأنها وقعت بيد ابن خلكان وهو بمصر فوضع بخط يده فهرساً لتراجمها. وقد أبقى المحقق ما خالف المعهود من القواعد النحوية في إعرابه على حالة طالما كان ذلك وارداً في كلام العرب أوله تأويل أما ما تردد من أخطاء السبب فيها زلة القلم فقد صححها على العموم دون الإشارة إليها. وقد أدخل في جدول التصويبات بعد الانتهاء. طبع النص القراءات غير المألوفة كذلك، والباعث إلى ذلك أمران: أولهما أن الذين تعرفوا على النص من مصنف وناسخ وقارئ كانوا رجالاً على سعة من العلم بدخائل اللغة وأسرارها، وثانيها الشك في صحة ما ذهبت إليه أحياناً، وهو الشك الذي يعتري قلب كل باحث بصحة ما يذهب إليه. وقد عزز رأي في هذا المجال نشر المستشرق A. Spitaler كتاب المستشرق Noldeke عن النحو العربي بعد أن حققه وأضاف إليه (دار مشتات ١٩٦٣). وأورد أن يبدي المحقق هنا ملاحظة بسيطة وهي أنه إذا ما ورد وجهان من التحريك فإن الحركة السفلى تشير إلى القراءة التي نصت عليها المخطوطة والعليا إلى الحركة التي تقتضيها القواعد النحوية، انظر مثلاً جدول التصويبات ص ٥، ٣ و١٣٧، ٢.

الفقرات والفوارز:

أما ما يتعلق بتنظيم النص على شكل فقرات ومراعاة الفوارز وما أشبه ذلك فلم يلتزم المحقق في هذا دوماً منهجاً واحداً، إذ إن كل يوم يمضي يأتي معه بخبرات جديدة يقتضي البحث العلمي مراعاتها خاصة، وقد استغرق تحقيق النص سنين عدة استجد فيها الكثير، ولم يجد المحقق من المستحسن الإشارة إلى مثل هذه الأمور في جدول يقتضي البحث العلمي مراعاتها خاصة أو في جدول الاستدراكات لأنها لا تعني في جملة أمرها أن تكون تنبيهات تنظيم شكل النص الخارجي ومعدنه، وحين تعدى الأمر ذلك عمد المحقق إلى إدخالها في الجدول المذكور. وقد ارتأى تقسيم النص إلى فقرات بعد أن كان كلاً، ولم يُفرد لكل رواية أو خبر فقرة خاصة لكيلا تؤدي كثرتها الى الإخلال بمجال النص. وقد لجأ بدلاً من ذلك إلى جعل الروايات المتصلة المعنى في فقرة واحدة حتى لو وقع الاستطراد فيها، ولم ينهج هنا أيضاً على الدوام نهجاً واحداً.

أما تفصيل القول في الفوارز فهي كالآتي: إن الإشارة (-) تشير إلى بداية رواية جديدة. وقد توالت الروايات والأخبار أحياناً دون أن يفصل بينها إسناد، وذلك لأن بشير بن حامد المنتخب قد ترك ذكر تلك الأسانيد والطرق واختصر هو والحافظ اليغموري في مواضع عدة من الأخبار ووحدا بين الروايات المختلفة. وقد بذل المحقق الوسع في ملحقه لمعالجة هذه المشكلة وإشارة (-) تفصل إلى ذلك ما ورد من تعليق لا يمت إلى الرواية بصلة عن الرواية نفسها، وضابط هذا كله جعل القراءة مسترسلة مستساغة. وهو ما توخاه المحقق في وضع الفوارز الأخرى مجانباً أحياناً المبادئ المتبعة بين جملتين طويلتين يربطهما المعنى، أما الفارزة (،) فقد استعملها عادة كلما تغير الفاعل. وقد استعمل الأقواس لحصر الأوزان وآيات القرآن الكريم.

ويدل المنعقفان [ ] على أن ما بينهما زيادات لم ترد في المقتبس أصلاً، وإنما أضافها المحقق من المصادر الأخرى. وقد ميز بهذه الطريقة أيضاً الحاشيتين الواردتين في ص ٤٦ ، ١٠ – ٤٧، ٥ و ص ٣٣٤، ٥ – ١١، وهما الحاشيتان اللتان لا يمكن أن تكونا صادرتين عن المرزباني بحال من الأحوال انظر ص ٢٠). أما الحاشية الواردة في ص ٢٧٣، ١٧ فلم يميزها بالطريقة السابقة لأن الناسخ قد نبه إليها بقوله: "حاشية في الأصل".

الهـــامش :

وقد تبين المحقق في وضع الهامش طريقة الأستاذ ريتر، وهي أوضح طريقة في الوقت الحاضر وأكثر إبانة من سواها، ويستطيع القارئ الكريم التثبيت من ذلك بنفسه. وبمقتضاها ينقل من المتن إلى الهامش الوضع الذي يريد التعليق عليه مع وضع رقم السطر قبل ذلك بين قوسين، ثم يتبع ذلك بالفارزة لتشير إلى القراءة أو الرواية وبعد هذا كله تأتي النقطتان اللتان تشيران إلى القراءة أو الرواية الخطأ أو غير المستحبة، وتلي ذلك مرة مصدر ما فإنه يضعه بعد رقم السطر، ثم يلي ذلك النقطتان وبعدهما قراءة الأصل إلخ. وقد اختصر في الهامش عناوين المصادر، ويمكن النظر في الفهرس لمعرفة عناوينها كاملة. ويدل الخطان العموديان (II) على أن ما يليهما هو تعليق ثان على موضع آخر من السطر نفسه. وتشير الأرقام الواردة على حواشي الكتاب إلى أرقام أوراق المخطوطة.

وفي نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، لا بد من التنويه بادئ ذي بدء، أنّ الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب مختصر عن كتاب المقتبس للمرزباني، واختصر الكتاب مرتين، أولهما اختصار الشيخ الإمام نجم الدين بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي، وقال: "الباعث عليه أمران: أولهما استفادتي منه ساعة بعد ساعة، وثانيهما إفادة أهلية بغرائبه والنوادر التي فيه، فقد سمعت

شيوخنا، يقولون: لا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط المصنف، وهو ثمانية عشر مجلداً في وقف الوزير نظام الملك في مدرسته بمدينة السلام"، وقال: "وقد حذفت الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة". والاختصار الثاني للمقتبس قام به، حافظ اليغموري (ت ٦٧٣ هـ)، وقال: "فهذا كتاب علقته انتخاباً من كتاب شهاب القبس من كتاب المقتبس تأليف الشيخ الحافظ أبي عبيد الله المرزباني ولم أخل ترجمة منه غير أني ذاكراً أحاسن ما ذكره وبالله التوفيق والعصمة في حسن الاختيار"[٨].

والمحقق يقول: "إن هناك مخطوطة اسمها المختار لعلي بن حسن بن معاوية محفوظة في مكتبة الشهيد علي باشا في إستانبول تحت الرقم (٢٥١٥)، وقد أخرجها وسماها مختار من كتاب المقتبس في أخبار النحويين، وأظن المخطوطة هي نسخته التي بخطه وليس فيها إلا الجزء الأول..."، وبتاريخ المحقق قوله: "ولم يخبرنا علي بن حسن صاحب المختار بأي شيء عن الأصل وكيف انتقى أخباره منه، أما المخطوطة فليس لها مقدمة وإنما تبدأ بعد البسملة بترجمة أبي حاتم السجستاني. وإن علي بن حسن هذا قد نقل عن المقتبس بخلاف اليغموري، والدليل على ذلك أن علي بن حسن يورد الكثير من الأسانيد والطرق التي رواها المرزباني، وأغفل ذكرها صاحب المنتخب واتبعه في ذلك الحافظ اليغموري في مختصره"[٩].

ويوازن المحقق بين المقتبس والمختصر والمختار، فيقول[١٠]: "عند النظر في ترتيب مفردات المختصر وترتيب مفردات تراجم المقتبس التي نقلها إلينا الفهرس ص ١٣٣،٢٦،٢٧، والإرشاد ٢٥/٧ نستدل أن المختصر لم يشذ إلا مرة واحدة عن ترتيب تراجم الأصل. أما المختار فقدم أخر في ترتيب بعض تراجم الأصل وغير في محتوى البعض الآخر وأضاف أشياء من كتب التراجم الأخرى، ولا وجود هنا لمقدمة المرزباني عند ابتداء أمر النحو ولا أخباره عند ابتداء أمر البصرة والكوفة وبغداد ونزولها. ويورد المختار فيما عدا ذلك ذكر ثلاث تراجم لا وجود لها في المختصر وهذا يدل بشكل واضح على أن المختصر لم ينقل تراجم المقتبس كلها، ويدعم هذا الرأي جدول المختصر (ص ٢٣٥) الذي يصر على ذكر ستة من العلماء من أهل الكوفة لم يترجم لهم فيما بعد كما سلف القول، وتلك الأسماء هي عبد الملك بن عمير اللخمي، وعاصم بن أبي النجود، وأبان بن تغلب، وقد ذكروا بين الترجمتين ٦١ ، ٦٢، وأبو محنف لوط بن يحيى وقع بين الترجمتين ٧٣ ، ٧٤ ، وخالد بن كلثوم وقد ذكر بين الترجمتين ٨٢ و ٨٣ والحكم بن موسى السلوكي وقد ذكر بين الترجمتين ٨٩ و ٩٠.

ويحتوي المختصر على ١٢٥ ترجمة على حين لا يحتوي المختار إلا على ٣٣، ولكن في مقابل ذلك يفوق المختصر في عدد أوراقه، على أن قلة عدد تراجم المختار وكثرة أوراقه لا تغني إطلاقاً أن المختار يقدم في تراجمه أخباراً أغزر من تلك التي يقدمها المختصر، بل أن العكس صحيح إذ لا يبرز المختصر المختار في عدد تراجمه فحسب بل يعرض للقارئ فوق ذلك في تراجمه مادة لا تقل جودة عن تلك التي نجدها في المختار"[١١].

ويعزو المحقق السبب إلى الأسانيد والطرق التي شغلت حيزًا كبيرًا من الكتاب، بالإضافة إلى ذلك تكرار الروايات والأحاديث التي لاتختلف في معناها إلا قليلا[١٢] .

وبعد، فإن النسخة التي بين أيدينا – كما قدمنا – قد اختصرت مرتين وسماها حافظ اليغموري: آخر المختصر المسمى بنور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء تأليف الحافظ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني رحمه الله تعالى.

والمختصر يقع في أربعة أجزاء ليست متساوية الحجم، فالجزء الأول ويشمل فاتحة الكتاب والحث على تعلم العلم وتقويم اللسان وابتداء أمر النحو ومن تكلم فيه، ويحتوي أخبارًا لعلماء ونحاة ورواة من أهل البصرة، والجزء الثاني يقتصر على تراجم للعلماء والنحاة والرواة البصريين، أما الجزء الثالث فإنه يشتمل ابتداء أمر البصرة ونزول المسلمين فيها وأخبارًا لعلماء ونحاة ورواة بصريين. ثم يذكر ابتداء أمر الكوفة ونزول المسلمين فيها وبعض أخبار أعلامهم، وهو تمهيد للجزء الرابع الذي يشمل تراجم لعلماء ونحاة ورواة كوفيين، ثم يتحدث عن ابتداء أمر مدينة السلام واحتطاط أبي جعفر المنصور إياها ونزولها وابتنائها، ثم يتحدث عن أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل بغداد ومن طرأ عليها من الأمصار، ثم يذكر بعض النسابين، ودغفل بن حنظلة، وأبو ضم البكري أو النخار العذري، ووهب بن أمية، وبذلك ينتهي المختصر.

والترجمة التي يقدمها المرزباني للعالم قد تطول أو تقصر وإذا طالت فيذكر أخبارًا ونوادر لا يربطها خيط سوى شخصية له، و سنورد نماذج متفرقة توضح من خلالها منهجية المؤلف في تأليف كتابه.

وإذا أخذنا أبا الأسود الدؤلي أحد الأمثلة[١٣]، فقد بدأ المرزباني بتعريفه، فهو أبو الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس- ويقال حليس- بن نفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

تم تحدث عن ضبط كلمة الدؤلي، واختلاف القبائل في ضبتها، قال يونس: الدول في بني حنيفة ساكنة الواو، والديل في عبد القيس ساكنة الياء، والدؤلي مهموز في بني كنانة رهط بني أبي الأسود.

ثم يذكر زمن ولادة أبي الأسود وأيديولوجيته وشاعريته، قال: "ولدت عام الفتح" واستعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة، وكان شيعة له، وهو شاعر مجيد.

ويعرج على ذكر المحاورة التي دارت بين علي رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤلي في أصل النحو. ويعد أبو الأسود أحد فصحاء الإسلام وقد عددهم على لسان ابن الأعرابي، فصحاء الإسلام، إبان بن عثمان، والحسن بن يسار البصري، وأبو الأسود الدؤلي، وقبيصة بن جابر الأسعدي.

ومما يذكره رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة، يحثه بها على التفقه في الدين، وتفهم العربية، وأن يعلم أبو الأسود الدؤلي أهل البصرة، وأن يعلموا أولادهم السباحة وركوب الخيل.

ويسرد المرزباني نماذج شعرية لأبي الأسود الدؤلي، فقد استعمل علي رضي الله عنه أبا الأسود على البصرة وزيادًا على الديوان والخراج، فبلغ أن زيادًا يطعن عليه عند علي رضي الله عنه، فقال:

رأيت زيادا ينتحيني بشره وأعرض عنه وهو باد مقاتله

ولما هلك علي عليه السلام، قال أبو الأسود:

ألا ابلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
في الشهر الحرام فجعتمونا بخير الناس طرا اجمعينا

ويشير المرزباني إلى فقر أبي الأسود الدؤلي، قال: "مر عبيد الله بن زياد على أبي الأسود وعليه ثياب رثة كان يكثر لبسها، فقال: إلا تستبدل بجبتك هذه؟ فقال: رب محلول لا يستطيع فراقه، فأرسل إليه عبيد الله ثمانين ثوبًا – وقيل مائة – فقال أبو الأسود:

كساك ولم تستكسه فشكرت له أخ لك يعطيك الجميل وناصر

ومن النوادر التي أوردها، قال: "لما وقعت الفتنة بالبصرة في أيام الزبير، مر أبو الأسود على مجلس بني قشير، فقال: يا بني قشير، على ماذا اجتمع رأيكم في هذه الفتنة؟ قالوا: ولم تسألنا؟ قال لأخالفه، فأسأل الله لا يجمعكم على هدى".

ثم يذكر أخباراً وقعت لأبي الأسود مع زياد ومعاوية، لها علاقة بأيدلوجية الدؤلي الشيعية. ومما يذكره نصائح أبي الأسود لأبنائه، وتعريفه للبلاغة بأنها سلاطة اللسان، وحثه على العلم لأن العلماء حكام على الملوك، ثم يورد له نماذج شعرية، في العلم وتنفيذ الوعد والحكمة. قال أبو الأسود في العلم:

العلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديب فنون العلم والأدبا

وفي تنفيذ الوعد، قال:

وإذا وعدت الوعد كنت كغارم دينا اقر احضر كاتبا

وقال في الحكمة:

ولا تحيرن بئرا تريد أخا بها فانك فيها أنت من دونه تقع

وكل امرئ يبغي على الناس ظالما تصبه على رغم عواقب ما صنع

وذكرت العمائم عنده، فقال: العمامة خير ملبوس: جنة في الحروب وواقية في الأحداث مسكنة من الحر ومدفئة من البرد، وقار في الندى وزيادة في القامة، وهي تعد من تيجان العرب.

ثم يقص علينا قصة زواج أبي الأسود الدؤلي ثم طلاقه لزوجته، واحتكامها إلى معاوية بن أبي سفيان في ابنهما، وحكم معاوية بأحقية الزوجة في الولد. وقول معاوية:

ليس من غذاه طفلاً صغيراً وسقاه من ثديه بالخذول

هي أولى به وأقرب رحماً من أبيه وفي قضاء الرسول

وينهي القصة بدفع معاوية الولد إليها.

كما يقص علينا قصتين يعرفنا من خلالهما على جانب آخر من شخصية أبي الأسود وعلى صفة من صفاته وهي صفة البخل. فقد اتخذ أبو الأسود دكانا على باب داره بقدر مجلسه، لا يتسع غيره وغير طبق يكون بين يديه يأكل منه، فإذا مر به مار فسلم عليه عرض عليه طعامه، فينظر فلا يرى لنفسه موضعا، فيدعو له وينصرف. والقصة الثانية قصة أعرابي دعاه أبو الأسود، فأجابه وأقبل يأكل وهو قائم، وأبو الأسود ينظر ويتغيظ. ثم أنشأ يقول:

انظر إلى جلسته ولمطه ولقمه مخبادرًا وغطه

ولفه رقاقة ببسطه كأن جالينوس تحت إبطه

ومن القصص التي أوردها المرزباني مدللا على خلق أبي الأسود، أنه اشترى جارية – يقال لها صلاح– لتخدمه، فطمعت فيه وأقبلت تتطيب وتتعرض لفراشه، فأنشأ يقول:

أصلاح أني لا أريدك للصبا فذري التشكل حولنا وتبدلي

إني أريدك للعجين وللرحا ولحمل قربنا وغلي المرجل

وكان يهجو بعض أصدقائه من عمال المدن إذا رأى جفوة منهم، وممن هجاهم عبد الله بن عامر، فقال:

ألم تر ما بين يوبين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب

فللناي خير من دنؤ ع لى أذى ولا خير فيمن خالفته الضرائب

ومن المهجوين حوثرة بن مسلم عامل أصبهان، كان صديقًا لأبي الأسود، فخرج إليه، فلم يحفل به حوثرة، فكتب إليه:

إنك اليوم امرؤ محتقر خصه الله بلؤم وضعه

ونقل المرزباني كثرة خروج أبي الأسود من منزله في كبره، وسوغ أبو الأسود ذلك بقوله: ولو جلست في منزلي اغتم أهلي واستأنس بي الصبية واجترأت علي الخادم، وكلمني من أهلي من كان يهاب كلامي، لإلفهم إياي وجلوسي عندهم.

ويسرد- المرزباني نموذجًا شعريًا لأبي الأسود فحواه الصداقة الحقة والعتاب والحكمة:

أظل كئيبًا لو تشوكك شوكة وتفرح لو دهدهت من رأس حالق
لشتان ما بيني وبينك في الإخا صدقتك في نفس ولست بصادق
أفق عنك لا يذهب بك التيه سالمًا فإنك مخلوق ولست بخالق
وكل أخ عند الهوينا ملاطف ولكنما الأخوان عند الحقائق

ثم يورد له نموذجين شعريين قالهما في حارثة بن بدر الفداني لما ولاه عبيد الله بن زياد سرق. ويختتم المرزباني الترجمة بذكر مرض أبي الأسود وتاريخ وفاته، مرض أبو الأسود فقيل له: اصبر فهذا أمر الله! قال: هو، أشد له! – مات رحمه الله في الطاعون الجارف سنة تسعة وتسعين، وسنه خمس وثمانون سنة.

ونعرض نموذجا آخر لأبي زيد الأنصاري[١٤]. بدأ المرزباني بترجمة له، فهو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. ثم يوضح مكانته الدينية فقد شهد أحدا وهو أحد العشرة الذين بعث بهم عمر رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري إلى البصرة، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يبين مكانته في علم النحو ويوازن بينه وبين الأصمعي وأبي عبيدة، فيقول: كان أبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان. وقال المبرد: أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحو وكان أكبر من الأصمعي في النحو، وكان أبو عبيد أعلم من أبي زيد والأصمعي بالأنساب والأيام والأخبار، وكان الأصمعي بحرًا في اللغة لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية.

ثم ينقل إلينا المرزباني صورة لمجالس الشعر حيث يتناشد أبو زيد وأبو بسطام شعبة بن الحجاج الشعر.

وينقل مجيء أعرابي إلى أبي زيد وإنشاده شعرًا وكتابة أبي زيد للشعر.

ومن النوادر التي قدمها، قال أبو زيد: قلت لأعرابي: اقرأ، فقال: سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي من على الحبلى، فأخرج منها نسمة تسعى، حتى إذا شب واستوى، أدبر وتولى.

ومن مهام النقاد تفسير الشعر واختلافهم في التفسير أحيانا، ومما قدمه المرزباني: ذكر عند أبي زيد تفسير الأصمعي لقول الأعشى:

وسبيئة مما تعترق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وأنه قال: معناه شربتها حمراء وبلتها بيضاء وسلبتها الجريال، فقال أبو زيد: لم يقل أبو سعيد شيئا، قد نرى الزنجي يفعل ذلك بشربها حمراء ويبولها بيضاء ، وإنما ارادا : اخذت حمرتها في وجنتي لونها في خدي ، وهذا ما نراه ابدا عند الامتحان .

وكان ديسم العنزي لا يزال يحفظ أشياء من هجر حماد عجرد وابي هشام الباهلي في بشار بن برد فبلغه ذلك ، فقال :

اديسم يا ابن الذئب من نجل زراع انزوي هجائي سادرا غير قصر

قال أبو حاتم : فانشدت ابا زيد هذا البيت وقلت له : ما يقول ؟ فقال : لمن الشعر ؟ قلت لبشار ، قال : يا الله ، ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال له : الديسم ولد الذئب من الكلبة ، وزارع اسم الكلب يقال للكلاب : اولاد زراع ، والعسبار ولد الضبع من الذئب ، والسمع ولد الذئب من الضبع.

ومن النوادر التي يرويها ، قال : وقف ؟اعرابي على أبي زيد ، فظن انه جاء يسأله عن مسألة في النحو فقال : سل عما بدا لك ! فقال الاعرابي :

لست للنحو جئتكم لا ولا فيه ارغب
أنا مالي ولا مرئ أابد الدهر يضرب
خل زيد لشأنه حيثما شاء يذهب
واستمع قول عاشق قد شجاه التطرب

ويورد نموذجا شعريا ، ينشد ، ابو زيد :

إذا أنت لم تعف عن صاحب أساء وعاقبته أن عثر
بقيت بلا صاحب فاحتمل وكن ذا وفاء وإن هو غدر
ولا تسأل الحر عن عورة وإن قام بوما عليه ستر

ثم ينقل خطبة للحسن بن علي رضي الله عنهما . وبعد ذلك يذكر مرض أبي زيد الذي مات منه ، ومن خلال الرواية يبرز دور أبي زيد اللغوي . فقد روى : قال المازني : دخلت على أبي زيد في مرضه الذي مات فيه ، فقال اشتكي صدري . فقلت امرخه بشمع ودهن ! فقال : ليس كذا ،وانما هو امرخه ، فتعجبت منه في تلك الحال يعلمني . – ومات أبو زيد رحمه الله سنة خمس عشرة – وقيل أربع عشر – ومائتين ، وله ثلاث –وقيل : أربع ، وقيل : خمس وتسعون سنة .

وقد تقصر الترجمة ، فمن أخبار أبي علي إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي[١٥] ، قال المرزباني : كان رواية أديبا شاعرا ، وابنه أبو الحسن أحمد مثله ، ولإسماعيل كتاب في طبقات الشعراء لطيف ، ومات أحمد قبل ابيه واسن إسماعيل وله :

أتت ثمانون فاستمرت بالنقص من قوتي وحزمي
فرق جلدي ودق عظمي واختل بعد التمام جسمي
وقد رماني الزمان منه في العين من ركبتي بسهم

ومن أخبار نصر بن عاصم الليثي[١٦] ، قال المرزباني : كان ممن اخذ العربية من ابي الاسود وكان فقيها ، ٠وقيل ايضا : انه اول من نقط المصاحف .

ومن أخبار أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج[١٧] ، قال : هو اقدم أصحاب المبرد ، وقد صنف : (معاني القرآن) و (الاشتقاق) و(العروض) وكتبا في النحو واللغة .

وفي ذكر النسابين ومنهم دغفل بن حنظلة [١٨]، وروى المرزباني : قال أبو حاتم : سمعت الأصمعي يذكر نساب العرب ، فذكر ذغفلا من بكر بن وائل والنخار العذري وابن القرية وصبيحا وأبا ضمضم البكري وكيسا النمري ، وقال : هؤلاء كلهم أميون .

وقيل : أن دغفلا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا ، ووفد على معاوية ، فضمه إلى يزيد مؤدبا ، سئل عن نسب النمل ، فقال : أنها ثلاثة أبطن : ذر وهي الصغار الصغر ، وفارز وهي التي رأسها كبير ومؤخرها صغير ، وعقفان وهي الطوال القوائم . قال له معاوية : من أين ضبطت هذا ؟ قال : بلسان سؤول وقلب عقول ، وقال : أي بيت قالته العرب أندى وأحسن؟ قال :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الدنيا اجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر اندى من البحر

وقال دغفل : يا معشر العرب ، فاخروا العجم بثلاث خصال ، فإنكم ، إن فاخرتموهم يغيرهن غلبوكم ، فاخروهم بأنكم حفظتم أنسابكم ونسوها ، وبأنكم عففتم عن الحرم وأتوهن، وبأنكم أحسن الناس شعرا .

مقارنة بين كتابي (نور القبس) للمرزباني و(وفيات الأعيان) لابن خلكان:

يعد كتاب نور القبس كتابً في التراجم، اخترنا مقارنته بكتاب (وفيات الأعيان) نظرا للتزامن بين المؤلفين، فقد عاشا في الحقبة الزمنية نفسها، فقد توفي اليغموري عام ١٢٧٤ هـ، بينما توفي ابن خلكان عام ٦٨١ ه، لذا ارتأينا المواءمة الزمنية بين الكتابين، وقمنا باختيار ثلاثة تراجم للمقارنة، متخذين من ترتيب اليغموري الجغرافي المتبع في كتابه منهجا للمقارنة، فكانت شخوص التراجم التي وقع عليها اختيار المقارنة هي: الخليل بن أحمد الفراهيدي والذي نسبه اليغموري للبصرة، وأبو عمرو الشيباني الذي نسبه اليغموري للكوفة، وإسحاق الموصلي الذي نسبه اليغموري إلى بغداد، بالتالي فكان تقسيم الاختيار مكانيا جغرافيا.

أولاً: الفراهيدي:

جاء في نور القبس نسب الخليل في سبع عشرة صفحة، وقد ذكر اليغموري اسمه كام لا فقال: "من أخبار أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي..."، بينما أورد اسمه في فهرس الكتاب "الخليل بن أحمد الفراهيدي، من هنا نجد اختلافا في إيارد الاسم بين فهرس الكتاب ومحتواه. كما أنه أورد اسم (عبد الرحمان) بالألف، وفي هذا خطأ، ربما يعود للطباعة إن لم يكن مقصودا.

بدأ اليغموري نسب الخليل دون ذكر اسمه أو أية معلومات حول ولادته تاريخا ومكانا، واكتفى بتعريفه من خلال ما جاء في العنوان، وبدأ بسرد روايات عامة ومقولات نقلا عن العلماء تفتقر إلى التخصيص والدقة والترتيب.

وفي صلب الترجمة كان يستشهد بالأشعار المتنوعة والمقولات المختلفة دون تسلسل منطقي ومنهجي، في إيراد معلوماته، فتارة يتحدث عن نسب الخليل وينتقل للحديث عن علم العروض ثم النحو، ثم ينقل عن الخليل ويروي شيئا عن حياته، ويعود لذكر علومه في مواضع متفرق دون ترتيب خاص مع مراعاة الاستشهاد بالشعر وبكثرة واضحة، علما أن انتقاءه للمقتطفات الشعرية كان موفقا مع مراعاة إيراد البحر الشعري وتحديده مع كل مقطوعة شعرية من شعر الحكمة، وكان يورد آراء العلماء فيما يعرض دون وقوف أو تعليق مستخدما أسلوب الحوار في نقل الروايات، وكان يخلط في حديثه عن علوم الخليل من نحو وأ دب وعروض دون تخصيص، ولم يورد شيئا من مؤلفاته سوى العين.

وقف اليغموري في أكثر من موضع وفي أماكن متفرقة على علم العروض ونشأته وسبب اختيار أسماء البحور الشعرية في غير مرّة.

وفيات الأعيان:

أورد ترجمة الخليل الفراهيدي في خمس صفحات رغم ضخامة الكتاب مقارة بنور ا لقبس، معنونا إياها بالخليل بن أحمد، وقد عمد إلى ذكر اسمه كاملا (ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي)، ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي.، ومن ثم أخذ يتحدث عن العلم الذي برع فيه الخليل، وكان دقيقا في انتقاء الأقوال التي تحدثت عن علم الخليل ومعجمه ومؤلفاته، وأورد أسماء ومؤلفات الخليل وتحدث عن علم العروض في أكثر من رواية، وقد حوت هذه الروايات شيئا من التناقض مع ما ذكره من أسبقية الخليل في اكتشاف علم العروض، حيث قال: "لا عن حكيم أخذه ولا على مثال تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه من ممر له"، وعاد وقال: "وقل عنه أنه كان يتردد إلى شخص يتعلم العروض وهو بعيد الفهم وأقام مدة عنده". وفي هذين الرأيين تناقض واضح.

وأورد مجموعة من المختارات الشعرية لكنها قليلة نسبة إلى ما جاء في نور القبس.

اتفقت مقولة بين الكتابين نقلا عن الخليل في قوله: "أكمل ما يكون الإنسان عقلا وذهنا إذا بلغ أربعين...".

وعاد ابن خلكان إلى المقتبس- الكتاب الأصل- في ذكر اسم الخليل.

وذكر ابن خلكان تاريخ وفاة الخليل واتفق مع نور القبس في أنها عام ١٦٠ هـ، مع تعدد الروايات في وفيات الأعيان.

وقد جاء ذكر مولده في وفيات الأعيان عام ١٠٠ هـ.

أبو عمرو الشيباني:

في نور القبس:

أورد نسبه عن طريق مقولة للجاحظ، ثم تحدث عن بعض كتبه بطريقة عامة حول موضوعاتها يذكرها اسماً إلا (النوادر) و(الحروف)، ثم تحدث عن أولاده ومن نقل عنه.

أورد مقتطفاً عن عكرمة قال: قلت لابن عباس :أرأيت ما جاء عن النبي- صلى الله عليه وسلم- في أمية بن أبي الصلت، آمن شعره وكفر قلبه ؟! قال: هو حق وما أنكرتم من ذلك ؟ قلت:أنكرنا قوله والشمس

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

ليست بطالعة لهم في رسلها إلا في معذبة وإلا تجلد

ما بال الشمس تجلد؟ قال: والذي نفسي بيده ماطلعت الشمس قط حتى ينحسها سبعون ألف ملك يقولون لها: إطلعي إطلعي ! وتقول لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله ، فيأتيها ملك فيستفل لضيا بني آدم ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه...

ولم نقف على سبب ذكرها في هذا الموضع من ترجمة أبي عمرو بن العلاء فلعلها مقتطفة مما ورد في أحد كتبه. وبعدها ذكر وفاته.

في الوفيات:

كناه صاحب الوفيات بـ (ابن مرار الشيباني) ففي العنوان اختلاف في الكنية بين الكتابين، ولكن المؤلف عاد وقال ابتداء: "أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني".

معلومات الكاتب كانت مرتبة دقيقة، فهو يتبع منهجية منتظمة في إيراد المعلومات عمن يورد، يبدأ بالاسم والأصل والنسب، ثم يذكر مرتبته العلمية ومن نقل عنه، ثم يورد الأقوال في وفاته مع الاختلاف في تحديد تاريخ الوفاة، وختم بإيراد جل مؤلفاته بنسخها، فكانت معلوماته فيها دقة واختصار وترتيب، وحجم المادتين يكاد يكون متساوياً في الكتابين.

إسحاق الموصلي:

في نور القبس:

جاء في نور القبس: "من أخبار أبي محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي"، نرى أن اليغموري بدأ الحديث عن نسبه بشكل عام وذكر سبب تسميته بالموصلي على لسانه نفسه، وأطال الحديث في ذلك، وتحدث عن ولادته وبعض أشعاره، وختم حديثه بذكر سنة وفاته.

في الوفيات:

اتبع الأسلوب المنهجي المرتب الدقيق كباقي الأعلام، ذكر اسمه ونسبه وأورد مجموعة من الأقوال حوله، وبين أنه متعدد العلوم لكنه اشتهر بالغناء رغم أن الغناء أضعف العلوم عنده.

أورد شيئاً من مؤلفاته وكتبه واحتج بشعره، واتفق الكتابان على اشتهاره بكثرة المؤلفات عن أبي العباس ثعلب رأيت لابن إسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب، وكلها بسماعه . وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق،ثم ابن العربي.لكنها جاءت مفصلة أكثر في رواية نور القبس، ثم ذكر وفاته مع تعدد روايات الوفاة وتواريخها.

الفهارس:

رتب المحقق فهارس كتابه على النحو الآتي:

١- فهرس الأعلام والأمم والقبائل والفرق

٢- فهرس الأماكن والبلدان

٣- فهرس الأيام

٤- فهرس الآيات

٥- فهرس الأحاديث والحكم والأمثال والأقوال

٦- فهرس الأشعار

٧- فهرس الكتب

٨- فهرس مراجع التحقيق الواردة في الحواشي

وبعد الاطلاع على منهجية ترتيب هذه الفهارس خرجنا بما يأتي:

في (فهرس الأعلام والأمم والقبائل والفرق) رتب المحقق ما ورد في هذا الفهرس ترتيباً ألف بائياً دقيقاً، ذكر بجانب كل علم منها رقم الصفحة الواردة فيه إضافة لرقم السطر، مثل: الحارث بن حلزة اليشكري ٣٤٠: ١٥، أي ورد ذكر العلم في صفحة رقم ٣٤٠، في السطر الخامس عشر من الصفحة المذكورة، وفي هذا دقة متناهية، لكنه لم يورد شيئاً لتوضيح هذه المنهجية المتبعة في فهارسه، وكان الأجدر به أن يفرد الأعلام في فهرس مستقل ويخصص فهرساً آخر للأمم والقبائل والفرق.

في (فهرس الأيام) أورد خمسة أيام وهي ما ورد ذكرها في الكتاب، وهذا يؤيد مدى دقة المحقق وعنايته بفهارسه رغم ضآلة معلوماتها.

في (فهرس الآيات) وضع عموداً رقمياً على يمين الآية أورد فيه رقم السورة ثم رقم الآية حسب ترتيبها في القرآن الكريم، وفي يسار الآية أورد عموداً رقمياً ذكر فيه رقم الصفحة التي وردت فيها السورة ثم رقم السطر، مثل:

ا/ ٧ أم القرآن ٣٤٩: ١١

وقد أورد أسماء السور حين ذكرها في موقعها، وثم ذكر آياتها إذا جاءت متفرقة، كما أنه أورد اسم سورة الفاتحة بـ(ام القرآن) كما ورد ذكرها في الكتاب.

في (فهرس الأحاديث والحكم والأمثال والأقوال) أورد الأحاديث النبوية الشريفة جنباً إلى جنب مع الحكم والأمثال والأقوال، وكان الأجدر به أن يفردها كما أرد فهرساً خاصاً للآيات القرآنية، فهنا عدّ الأحاديث أقوالاً عابرة، ولربما كان ذلك كونه مسترقاً لا يقدّر القيمة والمكانة المتميزة للحديث النبوي الشريف واختصاصه عن سائر الأقوال الأخرى، لكن الغريب أنه عاد وأفرد للشعر فهرساً خاصاً به، ويمكننا تعويل ذلك كون الأحاديث النبوية كلاماً منثوراً فأفرد للمنثور فهرساً خاصاً وللشعر المنظوم فهرساً مستقلاً.

في (فهرس الأشعار) رتب القصائد ترتيباً ألف بائياً نسبة للروي الشعري لكل قصيدة، ورتب الأبيات في جدول، حوى خمسة أعمدة، يمثل العمود الأول الكلمة الأخيرة للبيت الشعري وذاك لبيان روي القصيدة، والعمود الثاني خصصه لاسم البحر العروضي، والعمود الرقمي الثالث دلل فيه عن عدد الأبيات المختارة من القصيدة الواردة في الكتاب، والعمود الرابع ذكر فيه اسم الشاعر، والعمود الخامس والرقمي ذكر فيه رقم الصفحة ورقم السطر، مثل:

الداء بسيط ا أبو نواس ٣٠٥: ١٣

ونلحظ هنا أنه أورد أسماء البحور منكرة، وكان الصل أن تحلى بأل التعريف.

وفي (فهرس الكتب) أورد أسماء الكتب متبعاً الترتيب المعهود اللفبائي، مع ذكر الصفحة ورقم السطر، كما أنه كان يشير إلى تكرار ورود الكتاب في أكثر من موقع فيذكر أرقام الصفحات التي ورد ذكر الكتاب نفسه فيها. مثل: الكتاب لسيبويه ٥٨: ٥، ٩٥: ١٢، ١٤، ١٦، ١٧٤: ٣، ٢٢٠: ٨، ٩، ٢٢٥: ١٨، ٢٢٨: ١٨، ٢٧٩: ٦.

وفي (فهرس مراجع التحقيق الواردة في الحواشي) بدأ ترتيباً ألفبائياً حيث أنه ذكر أسماء الكتب على هذا الترتيب، لكنه وقع في لبس، فذكر في كتاب (شرح مفصل الزمخري) لابن يعيش، اسم المؤلف أولاً، ثم عنوان الكتاب، ثم عاد وذكر اسم المؤلف ثانية، وبهذا مخالفة للمنهجية المتبعة في هذا الفهرس، كما أنه اعتبر ابن يعيش مبدوءاً باللف ثم الباء، فقد وضع اعتباراً لكلمة (ابن) التي تسقط من الترتيب الألفبائي في العادة.

كما أنه أورد كتاب بروكلمان باللغة الإنجليزية، فرتبه حرفياً مع حرف الباء اعتماداً على اسم المؤلف.

التصويبات والاستدراكات:

ذيل المحقق كتابه بقائمة من التصويبات والاستدراكات، وهذا يحسب له، ويشيد في دقته، وكانت منهجيته في الترتيب بذكر رقم الصفحة والسطر، ثم الخطأ، ثم الصواب، حتى أنه اعتبر اسقاط التنوين من الكلمة خطأ ذكره.

وختم كتابه بصورة لمخطوط الكتاب، وترجمة للمقدمة.

الخاتمة:

الحمدلله الذي جعل لنا من العلم نبراسا، نضيء به ظلمات الليل، لنخرج إلى النور الحق، الذي نهدي به أنفسنا، ونجعله طريق هداية لغيرنا.

ولابد لكل منطلق من الوصول فقد آن لهذا البحث أن ينتهي معلنا لنا ولمن يطلع عليه أن أدب التراجم من أهم العناصر المكونة لتدوين التراث الإنساني بصفة عامة والتراث العربي بصفة خاصة وقد تطور هذا النوع من الكتابة عبر مختلف الحقب الأدبيةوحسب إختلاف الأقطار الإسلامية منذ عصر التدوين إلى وقتنا الحاضر.

والمعروف أن الأدب أجناس متنوعة وأشكال مختلفة قديمة وحديثة كما أن الكتابة فيه أجناس واشكال أيضا ولكل جنس منها وكل نوع مفهوم عام ومفهوم خاص وتمتد بين هذه المفاهيم جسور مؤتلفة وتجمعها قضايا متقاربة كذلك فن التراجم في مفهومه العام فهو الذي يترجم للرجال ويعرف بهم ويذكر نشأتهم وأخبارهم ويتحدث عن مؤلفاتهم ومآثرهم العلمية الأمر الذي يساعد في إستخلاص كثير من القيم الفكرية والثقافية والإجتماعية للعصر الذي عاشو فيه .

وأخير ما بوسعنا إلى ان نرجو الله العلي العظيم تحقيق الفائدة لكل من يظفر بالإطلاع على هذا البحث.

والله من وراء القصد.

Abstract

An overview on Abu Al-Mahasen Al-Yaghmouri's "Noor Al Qabas Al-Mokhtasar men Al-Moqtabas; A Brief of the Stories of Grammarians, Litterateurs, Poets, and Scientists", investigated by Rudolf Sellheim

By Ahlam Amer Al-Zaben

Long ago, orientalists started their deep interest and research into the heritage of the orient and its precious gems hidden even from its people, where they spread their investigation across various areas all over the world. They investigated the written manuscripts, and collaborated to collect the heritage, examine it, index it, and publish it. Our heritage would have stayed locked in its cabins all together, with no means to publish it in our hands.

This research aims to examine and study one of the prominent books in biographies, "Noor Al Qabas Al-Mokhtasar men Al-Moqtabas", investigated and published attentively by the German orientalist Rudolf Sellheim. It gives an overview on the book, its chapters and content, in addition to shedding some light into the research methodology followed. Moreover, proposing to take this study into a deeper level, a sample of historical figures studied in the book were chosen according to their geographical location, in compliance with the classification used in the book itself; in an attempt to compare the figure's biography to that of him appearing in Ibn Khalkan's "Wafayat Al-Ayan", due to both books association with the same era. Also, a thorough commentary on its writer's methodology, classification, and indices was given in this research.

الهوامش :

[١]- حسين الزعبي- المرزباني منزلته في حركة النقد العربي القديم؛ دار النابعة ١٩٩١-١٩٩٢؛ص٢، وانظر: نور القبس المختصر من المقتبس ص ١٣.

[٢] - المرزباني- معجم الشعراء؛ تحقيق عبد الستار أحمد فراج؛ دار إحياء الكتب العربية؛١٣٧٩-؛ ١٩٦٠ بتصرف.

[٣]- نفسه؛ ص ب-ج.

[٤] - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس؛المجلد الرابع؛ دار صادر بيروت؛ ص٣٤٥.

[٥]- الأعلام؛ الزركلي.

[٦]- معجم المؤلفين؛عمر رضا كحاله ؛المجلد الخامس؛ الجزء التاسع؛ دار احياء التراث العربي بيروت.

[٧] - انظر: ابن منظور- لسان العرب، تصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، مادة (قبس).

([٨]) المرزباني توطئة المحقق ، ص ١٨.

([٩]) المرزباني ، نور القبس ، توطئة المحقق ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

([١٠]) المرزباني ، نور القبس ، توطئ ة المحقق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

([١١]) المرزباني ، نور القبس ، توطئة المحقق ، ص ٢٧ ، ٢٩ .

([١٢]) المرزباني ، نور القبس ، توطئة المحقق ، ص ٣٣ .

([١٣]) المرزباني ، نور القبس ، وفيما نقدمه في ترجمة أب الأسود – من ص ٧ إلى ٢١ .

([١٤]) المرزباني ، نور القبس فيما نورد ، في ترجمة أبي زيد من ص ١٠٤ إلى ص ١٠٨ .

([١٥]) المرزباني ، نور القبس ، ص ٩٠ ، ٩١ .

([١٦]) المرزباني ، نو ر القبس ، ص .

([١٧]) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ .
([١٨]) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

١. نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري، تحقيق رودلف زلهايم، دار فرانتش شتاينزبفيسبادن،١٩٦٤م-١٣٨٤هجري.

المراجع :

٢. أضواء على الإستشراق والنستشرقين،محمدأحمد دياب،دار المنار ،القاهرة،.١٩٨٩.
٣. الدراسات العربية في ألمانيا،ديترشت ألبرت، دار فرانتش شتاينزبفيسبادن،١٩٦٢.
٤. طبقات المستشرقين،عبد الحميد صالح حمدان،مكتبة مدبولي ،القاهرة.
٥. لسان العرب،ابن منظور ،تصنيف يوسف خياط ،و نديم مرعشلي ،دار لسان العرب بيروت.
٦. المستشرقون الألمان،صلاح الدين المنجد،دار الكتاب الجديد،بيروت،١٩٧٨.
٧. المستشرقون،نجيب العقيقي ، الناشر نجيب العقيقي ،بيروت ،١٩٣٧.
٨. معجم الأعلام،خير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين،الطبعة الخامسة عشر ،٢٠٠٢.
٩. معجم الشعراء، عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج،دار إحياء الكتب العربية.
١٠. معجم المؤلفين ،عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي ،بيروت، المجلد الخامس.
١١. معجم المصطلحات اللغوية في كتابات الألمان،إسماعيل أحمد عمايرة،دار حنين،١٩٩٢.
١٢. موسوعة المستشرقين،عبد الرحمن بدوي ،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٧١.
١٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،لأبي العباس شمس الدين بن أحمد بن خلكان،تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، المجلد الرابع.

الرسائل الجامعية:

١٤. المرزباني منزلته في حركة النقد العربي القديم، حسين الزعبي، دار النابغة ،١٩٩١ -١٩٩٢.